

الأمثل في تفسير كتاب الأمثل في التفسير

[135] التفسير هل الأمثل يضرب المثل؟! الفقرة الأولى من الآية تقول: (إِنَّ سَاقَ الْكَاكِبِ لَا يَسْتَدْحِيهِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا). ذلك لأن المثل يجب أن ينسجم مع المقصود، بعبارة أخرى، المثل وسيلة لتجسيد الحقيقة حين يقصد المتحدث بيان ضعف المدعي وتحقيره فإن بلاغة الحديث تستوجب انتخاب موجود ضعيف للتمثيل به، كما يتضح ضعف أولئك. في الآية (73) من سورة الحج مثلاً يقول سبحانه: (إِنَّ السَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنُيَخْلِقُنَّ أَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ). يلاحظ في هذا المثل أن الذباب وأمثاله أحسن وسيلة لتجسيد ضعف هؤلاء. وهكذا في الآية (41) من سورة العنكبوت، حين يريد القرآن أن يجسد ضعف المشركين في انتخابهم أولياء من دون الله، يشبههم بالعنكبوت التي تتخذ لنفسها بيتاً، وهو أضعف البيوت وأوهنها: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعِيبَتٍ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَلْبُعْثِ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). من المؤكد أن القرآن لو ساق الأمثلة في هذه المجالات على الكواكب والسموات لما أدرى الغرض في التصغير والتحقير، ولما كانت أمثله متناسبة مع أصول الفصاحة والبلاغة، فكأن الله تعالى يريد بهذه الأمثلة القول: بأنه لا مانع من التمثيل بالبعوضة أو غيرها لتجسيد الحقائق العقلية في ثياب حسية وتقديمها للناس. الهدف هو إيصال الفكرة، والأمثلة يجب أن تتناسب مع موضوع الفكرة، ولذلك فهو سبحانه يضرب الأمثلة بالبعوضة فما فوقها.